

واقع الصناعة المعجمية العربية بين التراث والحداثة

The reality of the Arabic lexical industry between patrimony and modernity.

طاهر جبار زهرة*

جامعة الجيلالي بونعامة، (الجزائر)، zahradjebar1982@gmail.com

تاريخ الارسال: 2023/01/16 تاريخ القبول: 2023/04/12 تاريخ النشر: 2023/06/10

ملخص:

تندرج هذه الورقة البحثية في إطار البحث في الصناعة المعجمية، حيث أصبح المعجم يشكل أداة تواصلية هامة بين القارئ والمستجدات الحضارية والعلمية واللغوية، ولا سيما في هذا العصر، ويختلف منظور المحدثين للمعجم ودوره ووظيفته باختلاف مناهجهم ومشاربهم، فأصبح المعجم يمثل عند بعضهم الهوية اللغوية والثقافية والحضارية للأمة، كما يمثل عند آخرين خزانة اللغة ودستورها الأعلى، وفيصل استعمالاتها، وعند البعض الآخر هو أداة تربوية تعكس أفكار الجهة المصدرة للمعجم، ومهما اختلف منظور الدارسين والباحثين للمعجم، فإنّ المتفق عليه هو أنّ المعاجم بأشكالها أصبحت تشكل ضرورة في مختلف جوانب حياتنا اللغوية والعلمية والثقافية، ولا سيما في هذا العصر الذي غدا يتميز بالتفجر العلمي والانفتاح العالمي، ويهدد بمخاطر العولمة، إذ لا تزال الحركة المعجمية العربية تعاني تأخرا و تحفظا على أكثر من صعيد ومستوى مقارنة بالحركة المعجمية في الدول المتقدمة التي تولي عناية خاصة لهذه الصناعة لخصوصيتها اللغوية والثقافية والعلمية والفكرية، بتخصيصها فروعاً أكاديمية لدراسة المعجم وتطوير صناعته، وتقدم الدعم المالي الكبير من قبل الهيئات العلمية والمؤسسات التجارية من أجل تصنيع معاجم تسير حركة تطور اللغة. وعليه فإنّ هذه الورقة البحثية تعالج واقع الصناعة المعجمية العربية بين الدرس العربي القديم والحديث.

الكلمات المتاحية: المعجم، المعاجم اللغوية العربية العامة، الصناعة المعجمية الحديثة، النظريات اللغوية، الصناعة المعجمية الغربية.

Abstract:

This research paper falls within the framework of research in the lexical industry, where the dictionary has become an important communication tool between the reader and the cultural, scientific and linguistic developments, especially in this era. For others, it represents the treasury of the language and its supreme constitution, and the key to its uses, and for others it is an educational tool that reflects the ideas of the authority that issued the dictionary. Especially in this era, which has come to be characterized by scientific explosion and global openness, and threatens the dangers of globalization, as the Arabic lexicographical movement is still suffering from delay and reservation on more than one level and level compared to the lexicographical movement in developed countries that pay special attention to this industry due to its linguistic, cultural, scientific and intellectual specificity. Academic branches for the study of the dictionary and the development of its industry, and the provision of large financial support by scientific bodies and institutions Commercial policies for the

manufacture of dictionaries that keep pace with the movement of language development. Accordingly, this research paper deals with the reality of the Arabic lexical industry between the ancient and the modern Arabic lesson.

Keywords: lexicon, general Arabic linguistic dictionaries, modern lexical industry, linguistic theories, Western lexical industry

1. مقدمة:

أصبح المعجم في الغرب ينال ثقة كبيرة من قبل القراء، حتى أصبح وجوده ضروري في كل بيت، على خلاف حال المعاجم العربية التي فقدت ثقة القارئ العربي وانصرف عنها لضعف دورها ولتأخرها على أكثر من صعيد، فلم تحظ بالاهتمام الكافي والدراسة الوافية، إذ مازالت تعاني من الاضطراب والفوضى في المناهج التي تسلكها سواء في دراساتها النظرية أو في ممارساتها التطبيقية إضافة إلى أنها ما زالت تسير في خطى حذرة ومتحفظة في مسار تطورها البطيء.

على الرغم من الاهتمام المتزايد الذي شهدته الحركة المعجمية العربية منذ مطلع النهضة العربية الحديثة على المستويين النظري والتطبيقي، فإنه مازال يعاني بعض الاضطراب والتأخر على هذين المستويين، فيلاحظ أنه على الرغم من ظهور دراسات عربية عدة حول المعجم العربي وقضاياها، فإن هذه الدراسات اتسمت بالتقليدية وغياب المنهجية في معالجتها، وذلك من خلال اكتفاء بعض الدارسين بدراسة كل معجم على حدة دراسة توصف بالتقليدية، أو من خلال عدم تقييد بعض الدارسين الآخرين بمنهج مدرسي محدد عند دراستهم المعجمية، حيث كانوا يكتفون بالإشارة إلى أن دراساتهم تتم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة دون تحديد دقيق للمدارس اللغوية التي تبنيها مما جعل معالجاتهم المعجمية تتسم بالتداخل والتناقض بين اتجاهات مدرسية مختلفة لعدم مراعاتهم أسس هذه المدارس ومناهجها وربما كان ذلك رغبة من هؤلاء الباحثين في تقديم رؤية أكثر شمولية ومحاولة للاستفادة من معظم الثمار التي أنتجتها هذه المدارس فيما يخص تطوّر المعجم.

هذه العوامل وأخرى دفعتنا إلى تخصيص هذا البحث للدراسة المعاجم اللغوية العامة العربية وفق منهج مختلف ومغاير من خلال محاولتنا انتهاج منهج تاريخي نعرض فيه أثر النظريات والمدارس اللغوية الحديثة في تطور الحركة المعجمية في مختلف جوانب المعجم اللغوية والتقنية نعرض أسس كل مدرسة ومفهوماتها ومميزاتها وسلباتها أو صعوباتها، وبعرض بعض الحلول لمواجهة بعض الصعوبات والمعوقات والابتعاد عن تلك الدراسات التقليدية من خلال الاعتماد على عناصر متكاملة متصلة بماضي المعجم وحاضره بقصد التعمق ولو جزئياً في استجلاء ما ظل غامضاً في المناهج المعجمية ومساراتها، أي بمعرفة بعض الخلفيات العلمية والفلسفية واللغوية الكامنة وراء تطوّر المسارات المعجمية ومدى استجابة المعجم العربي لهذه التطورات المعجمية، وذلك من خلال دراسة تحليلية نقدية تستقرئ فيها المعاجم اللغوية العامة العربية استقراء جيداً وكشف محاولاتها تنظيمياً وتطبيقاً، وذلك سعياً إلى تقديم تشخيص لحال المعجم العربي الحديث ومعرفة جوانب تأخر المعاجم العربية على الحركة المعجمية، ويهدف البحث من خلال ذلك إلى صناعة معجم عربي يواكب الحركة المعجمية المتجددة ضمن الخصوصية العربية لغة وثقافة.

2. موقف المعجميين واللغويين من الصناعة المعجمية

يعدّ المعجميين دراسة المعجم من أعوص الدراسات التي تواجهها اللسانيات التي لم توفق تماما في وضع أسس نظرية ومنهجية توفر له أسباب الانتساب إليها وإلى مقارباتها ونظرياتها¹، فيزعم المعجميون أن الصناعة المعجمية ليست علما، بل هي فن لا يمكن أن يتقيد بالطرائق الموضوعية التي يتبعها علم اللغة الحديث²، فيعدون المعجم مجرد حرفة ومهارة لا تنتسب إلا قليلا إلى اللسانيات على ما في مادة المعجم من جدل لغوي ومقاربات لسانية³.

أما عن أسباب هذه الفجوة التي خلقها المعجميون تجاه النظريات اللغوية فيمكن تلخيصها في النقاط التالية⁴: لم يعن مؤلفوا المعاجم قديما بالنظريات بقدر ما عنوا بالتطبيقات، أما في العصر الحديث فقد بقيت الحركة المعجمية يقودها الإقناع والتقليد وكانت في أغلب الأحيان مشروعات تجارية أكثر منها منجزات أكاديمية، فلم يبذل المعجميون التجاريون جهود مخلصه للإلمام بالنظريات اللغوية وتطبيقاتها في معاجمهم، لأن ذلك يكلف ثمنا باهظا ويستغرق وقتا طويلا، إضافة إلى أنهم قد يجازفون بجهودهم نظرا للتناقض بين طرائق البحث اللغوي وطلبات القراءة التقليدية⁵.

لقد شعر المعجميون بوجود هوة عميقة تفصل بين النظريات اللغوية التي تتصل بدراسة المعنى والتي ظهرت حديثا، والتطبيقات المعجمية مازالت حتى الآن تعتمد تقاليد قديمة على الرغم من إدراكهم أهمية الإطلاع على النظريات الحديثة في علم الدلالة لمعرفة طبيعة الدلالة اللغوية ووجهاتها المختلفة.

أما عن موقف اللغويين من الصناعة المعجمية فقد أهمل المعجم في دراسات بعضهم نتيجة موقف بعض النظريات اللغوية منها، فالمدرسة البنيوية التي بدأها دي سوسير كان اهتمامها الكبير بالصوتيات phonology مما أدى إلى إغفال المعجم⁶، أما مدرسة بلوم فيلد التي هيمنت على المسرح اللغوي في الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف القرن العشرين، فكانت تنظر إلى المعجم على أنه ملحق للنحو والصوتيات، وأنه قائمة من الاستثناءات الأساسية⁷، فاستهانت بقضايا المعجم لأنها وضعت على بساط البحث قضية المعنى، فالمعنى بحسب رأي البنيوية من خصائص علم النفس والسلوك، ولما كانت هذه المدرسة تدعو إلى الوصفية وحسب، فإنها كانت ترى أن مسألة المعاني والمقابلات السيمية أو الدلالية ليست من مشمولاتها ولا من مشمولات اللسانيات⁸، وهكذا تجاهل البنيويون الأمريكيون المتأثرون ببلومفيلد دراسة المعجم لأنه في نظرهم يعالج مفردات توصف بأنها غير تركيبية أو يبدو التسبب في تركيبتها على الأقل⁹.

وإلى جانب هذه المواقف المتناقضة من المعجم، هناك أسباب أخرى لهذه الفجوة تتعلق بالحركة اللغوية نفسها، إذ يواجه المعجمي صعوبات إذا أراد التقيد بالمبادئ اللغوية، منها التغير السريع في المسرح اللغوي، حيث كانت تظهر في الحقبة نفسها مدارس لغوية عدة، كما أن بعض هذه المدارس كانت تتعرض للتعديل والتطور وقد يستغرق عمل المعجم عشر سنوات أو أكثر ليكشف في النهاية أن النظرية التي طبقها أصبحت قديمة ومهملة قبل

أن ينشر معجمه إلى جانب اختلاف اللغويين فيما بينهم في المدرسة الفكرية الواحدة على كيفية معالجة المشكلة ذاتها¹⁰. وقد دعا بعض اللغويين مؤخرًا إلى ضرورة إعانة المعجمي على هضم النظريات اللغوية لإنتاج معاجم أفضل¹¹، وقد أدرك بعض اللغويين المحدثين أن ثمة نظريات لغوية عامة كثيرة ليست جميعها صالحة للتطبيق العملي، وعدّ مؤخرًا علماء اللغة صناعة المعجم lexicography من فروع علم اللغة التطبيقي لأنه يهتم بالجانب العملي للغة إلى جانب فروع اللسانيات التطبيقية الأخرى مثل: المصطلحية وتعليم اللغات، تصميم اختبارات اللغة، تحليل الأخطاء بين اللغات المختلفة، علم اللغة الاجتماعي، طرائق محو الأمية، علم اللغة الآلي وغيرها.

إذن مصطلح lexicology يعرف عموماً بأنه فرع من فروع علم اللغة يقوم بدراسة مفردات أية لغة وتحليلها بالإضافة إلى دراسة معناها ودلالاتها المعجمية بوجه خاص، وتصنيف هذه الألفاظ استعداداً لعمل المعجم¹².

فيلاحظ أن مفهوم lexicology قد تطوّر مع تطور المناهج اللغوية، فسابقاً ارتبط هذا المصطلح بالدراسات التاريخية، فعرف بأنه علم يهتم بدراسة المفردات من حيث اشتقاقها وتطورها ودلالاتها ومرادفاتها وتعدد معانيها¹³.

ثم استقل عن هذا العلم وتوسع وأصبح يعرف بأنه دراسة معاني الكلمات والمصطلحات التركيبية للكلمات¹⁴، وهناك من يرى أن lexicology يهدف إلى دراسة المعجم دراسة علمية بقدر ما يتطلب من معرفة نظرية تتعلق بتعريف الوحدات المعجمية أو المداخل وبالانتساب إلى إحدى النظريات الدلالية ومالها من صلة بقضية المدلول العويصة¹⁵، فهو إذا علم مجرد ينتسب إلى اللغة وغايته دراسة جميع مظاهر اللغة.

إذن دراسة الألفاظ قد تكون موضوع دراسة الصرف أو المعنى وهما دراستان نظريتان فسمي الألفاظ lexicology أو ما يمكن تسميته المعجمية النظرية¹⁶، وقد يكون موضوع دراسة المعاجم وصناعتها وهي دراسة تطبيقية فتسمى صناعة المعاجم lexicography فتتداخل الدراستان فتكمل إحداها الأخرى.

أما مصطلح lexicography فيعني تأليف المعاجم، ظهر هذا المصطلح لأول مرة عام 1680 إلا أن مفهومه تطوّر وتغير، فسابقاً كان ينظر إلى هذا المجال كفن لتأليف المعجم، أما الآن فأصبح يعرف بأنه علم وليس على أنه فن، معتمداً في ذلك على النظريات اللغوية من أجل تقديم معجم أفضل، فأصبح يعرف بأنه علم المعاجم التطبيقي الذي يختص بدراسة صناعة المعجم والأسس التي يقوم عليها وأنواع المعاجم، ويشتمل على خطوات أساسية هي جمع المعلومات والحقائق واختيار المداخل وترتيبها طبقاً للنظام معين وكتابة المواد وإعداد الشروح ثم نشر النتائج النهائي¹⁷، وهكذا أصبح المعجم صناعة تتعلق بجمع اللغة ووضعها ووضع أسس تتصل باللغة ومفرداتها ومفهوماتها المرتبطة بعلوم شتى منها: علم الدلالة، النحو، الصرف، ضروب الأدب من نثر وشعر¹⁸.

3 تأليف المعجم العربي في العصر الحديث

بدأت النهضة العربية الحديثة في مطلع العصر الحديث، اثر عدة عوامل منها: الأوضاع السياسية والاجتماعية المتخلفة والمتردية هذه العوامل وغيرها أيقظت العرب من سباتهم وأثارت فيهم خصوصيتهم وهويتهم العربية المتميزة فظهرت حركات ودعوات تدعو إلى استحضار الماضي العربي العريق وإحياء الحضارة والثقافة من التراث القديم، فطبع منذ ذلك العهد مالا يحصى من كتب الأدب في جميع العصور ونشرت المؤلفات الكثيرة في النحو العربي وما إليه من المعاجم العديدة الأجزاء واشتدت العناية بالبحث في مسائل الاستعمال اللغوي وصواب التعبير¹⁹.

فكان التأليف المعجمي من أبرز النشاطات اللغوية التي أحيها العرب لإدراكهم أنه للحاق بركب العالم المتمدن والمتحضر لا بد من نهضة لغوية وأدبية وأن الاستعانة بالمعاجم تمكن من إحياء اللغة وآدابها. فاعتمد الناس في بادئ الأمر على المعاجم القديمة، فقام بعضهم بطبع المعروف من هذه المعاجم لتسهيل تداولها بين الناس²⁰. وذلك بطبع المعاجم المطولة وفق ترتيب حديث، أي حسب أوائل أصول الكلمة بدلا من ترتيبها الأصلي حسب أواخر أصولها.

وكانت قضايا المعجم من أكثر القضايا اللغوية طرحا آنذاك، فقد بدأت مشكلات المعجم مع بدء قضية المصطلح العلمي العربي في العصر الحديث في إطار حركة الترجمة والتأليف في الربع الثاني من القرن التاسع عشر، حيث اتهم بعضهم اللغة العربية بالشيخوخة والعجز عن استيعاب تدفق المصطلحات العلمية والحضارية الوافدة مع هذه التطورات الهائلة، علما أنها ليست المرة الأولى التي تواجه العربية مشكلة الحاجة إلى المصطلح²¹.

وقد تكررت هذه التجربة في مطلع العصر الحديث، حيث أدى التفجر العلمي والصناعي والفكري إلى وقوع العرب في مأزق تلبية المصطلحات اللازمة لتغطية هذا التطور الحضاري الهائل. فبدأت تكفل بعض اللغويين القيام بهذه المهمة، ولاسيما في حقول التأليف والترجمة وتدرّس اللغة العربية، أمثال: أحمد فارس الشدياق، إبراهيم اليازجي، أنستانس الكرملي ومعروف الرصافي، ثم تابعت الجماع اللغوية العربية القيام بهذه المهمة، فانصبّت الجهود الفردية والمؤسسية في تنمية اللغة العربية وتطويرها بتوسيع اللغة العربية وتحديد الطرق الكفيلة بتنميتها.

ويلاحظ أن حركة التأليف المعجمية العربية الحديثة تراكمت مع حركة نقدية تناولت المعاجم العربية القديمة بالدرس والتحليل²². إذ شق عليهم ما كان بين الحياة والمعجم من تناقض، فمن جهة وجدوا معاني جديدة تفتقر العربية إلى ألفاظ تدل عليها، ومن جهة أخرى وجدوا معاني لها أكثر من لفظ واحد ومئات الألفاظ لمعنى واحد²³.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه مع قدم الأعمال المعجمية وتطورها عبر التاريخ، لم تأخذ المعجمية حظها من الاهتمام والتنظيم إلا مع مطلع القرن الثامن عشر سواء في العالم العربي أو الغربي²⁴، ويعد أحمد فارس الشدياق من أبرز من تصدى لنقد المعاجم وذلك في القرن التاسع عشر (الجاسوس على القاموس).

وهكذا بعد أن اطلع العرب على بعض المعارف المعجمية الأجنبية رأوا من الضروري تطوير هذه المؤلفات القديمة مع تفادي الأخطاء التي وقعت فيها، وتنسجم وروح العصر الحاضر ومطالبه في الجمع والعرض والتبويب لتكون جيدة الجمع، حسنة العرض، سهلة الاستخدام²⁵، فأخرجت المطابع العربية معاجم حديثة عديدة.

4. نقد المحدثين للمادة المعجمية عند القدماء:

يلاحظ أن حركة التأليف المعجمي عند معظم الشعوب كانت تحاكي عصرها سواء من الناحية الفكرية والفلسفية والحضارية، إلا أن بعض الدارسين المحدثين راحوا ينقدون المعاجم العربية القديمة على ضوء النظريات اللغوية الحديثة، وقد انصب جل انتقادهم على المعيارية التي اشتراطها العلماء العرب القدماء الذين حصروا التدوين في أدب الجاهلية وصدر الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري عند أهل الحضرة وسكان أطراف الجزيرة العربية، وقد وجد المحدثون الباحثون في تطبيق القدماء لهذه المعيارية سببا في تأخر المعجم العربي وقصوره، من خلال مختلف مناهج الدراسات اللغوية الحديثة.

لقد عارض المحدثين المعيارية التي حددت اللغة العربية في أطر زمانية ومكانية من وجهة نظر بعض الدارسين المتأثرين بالدراسات التاريخية فقالوا إن عامل المحافظة كان دائما كابجا للتطور اللغوي، لأنه ينطلق من فكرة أساسية وهي أن اللغة تراث قومي وقد يكون دينيا أيضا تقتضي الأمانة الحفاظ عليه كما كان عهد السلف، أما عامل التطور فهو عامل ثوري متمرد على الجمود، فاتهموا المعاجم القديمة بالتقصير بالالتزام القدماء معايير عصر الاحتجاج، ورأوا أن حصر جمع اللغة زمانيا ومكانيا حرم تسجيل كثير من الألفاظ والمعاني المولدة التي ابتكرها العباسيون للمظاهر والحياة الجديدة التي عاشوها، وتجميد العربية جعلها لا تواكب ركب الحياة²⁶.

وبالتالي هذه المعاجم لا تعين على مسايرة التطور التاريخي للغة العربية بشكل واضح لأنها تقف عند حد زمني معين فلا تتجاوزه إلى ذكر الألفاظ المولدة أو المعاني المستحدثة، وهي بهذا تقطع سلسلة التطور في معاني الألفاظ قطعاً اعتبارياً²⁷.

كما حمل البعض الآخر هذه المعاجم العربية القديمة على رغم ضخامتها وشموليتها التقصير لعدم تتبعها التاريخي للألفاظ أو الاشتقاقات ولعدم تعقبها تطور مدلولاتها في مختلف العصور وبيان الأصول التي انحدرت منها²⁸.

وقد أخذوا على هذه المعاجم القديمة عدم تطبيقها للمناهج الحديثة وهذا إجحاف من المحدثين بحق المعجميين العرب القدماء، إذ لا يمكن محاسبة القدماء لعدم تطبيقهم لمناهج حديثة قد ظهرت بعد قرون عدة ونتيجة لظروف وعوامل مستحدثة. إلى جانب ذلك عارض أصحاب النظرية المعيارية الوصفية، الذين عابوا معايير الاحتجاج التي حددها القدماء لاشتمال دراساتهم مراحل متعاقبة من تاريخ اللغة العربية وجمعهم لهجات متعددة من اللغة العربية نفسها فخلطوا بينها²⁹. وذلك أن الدراسات الوصفية كانت تدعو إلى دراسة لغة معينة في زمان ومكان محددين.

وحمل الوصفيون المعياريون قصورا آخر عند جمع القدماء المواد في معاجمهم، وذلك بانتقادهم نظرة أصحاب تلك المعاجم التي كانت نظرة ناقدة لا جامعة³⁰. على خلاف منهج الوصفيين الذين كانوا يدعون إلى ضرورة أن يصف

المعجمي واللغوي ما يسمعه وصفا دقيقا موضوعيا وفقا للعرف اللغوي للجماعة وليس أن يضع قواعد يستخدمها للحكم بالصواب والخطأ. وهناك نوع آخر من النقاد حيث نقدوا المعاجم العربية القديمة من وجهة مغايرة متأثرة بالنظرية التوليدية للغة، فرأوا أن المعاجم التي جاءت بعد الخليل -الذي أورد المستعمل وترك المهمل- توحى بأنها لم تهتم بمسألة جمع كل ما هو مسموع، ولم تشغل بالجانب التوليدي أو الضبط الحسابي للمفردات كما انشغل الخليل. بل ركزت على تنقية اللغة من الغريب والوحشي مما أدى إلى إحداث قطيعة مع المادة الحية المتوافرة عند متكلمي اللغة ومستعمليها بدعوى فساد لسانهم، ولاسيما في المعاجم الضخمة كالقاموس واللسان وغيرهما، التي استخلصت مادتها من مؤلفات سبقتها. مما جعلت المعجمية العربية تنقطع عن واقعها وتفقد دورها الأساسي في تمثيل الثقافة والحضارة القائمتين. وكذلك الخصائص الفعلية والحالية للمفردات ومعانيها الجديدة والمصطلحات³¹.

واقم البعض الآخر أصحاب المعاجم العربية القديمة بالتقصير لعدم تمثل مؤلفيها للغرض من معاجمهم متهمًا إياهم جميعًا بأنهم أرادوا أن يجمعوا اللغة بواضحها، وغريبها، ونادرها، ولهجاتها وأن يجمعوا معها معارف العرب أو النواحي المختلفة من الثقافة العربية³². وهذا النقد متأثر بالنظرية الوظيفية والتي كانت تركز على ضرورة تحديد الأهداف في العمل المنتج.

وهكذا نلاحظ أن الدارسين المحدثين نقدوا المعاجم العربية القديمة من خلال نظريات ومدارس لغوية حديثة متناسين أن لكل عصر منهجه ونظرياته.

5. اقتراحات لتحديث مواد المعجم العربي:

جرت عادة المعجمي أو دارس المعاجم أن ينهي دراسته بجملة من الوعظ والإرشاد تهدي من بعده إلى أمل بوضع معجم أكثر اكتمالا وتطورا، وهكذا نتج عن الباحثين اللغويين جملة اقتراحات في محاولة لتحديث المواد التي يجب أن يضمها المعجم العربي المعاصر.

- منهم من رأى أن الالتزام في العمل المعجمي لا يقتصر على القواعد والأسس التي يقوم تأليف أي معجم حديث عليها، بل لا بد أن يشمل ما يسمى "بالمنطق اللغوي"³³، وعليه دعا إلى وجوب إغناء المعجم العربي الحديث بطرق الإفادة من الثروة الطائلة التي تشتمل عليها المعاجم القديمة وكتب اللغة، بحيث تستوعب كل جديد تدعو إليه ضرورة أو مصلحة أو يتطلبه علم أو فن وأن تستوعب كل لفظ مؤلّد أو معرّب أو دخيل إلى المداخل الأساسية على أن يجري اشتقاق المواد وفق القواعد الأساسية³⁴. فهذا الرأي دعا إلى ضرورة مراعاة المنطق والقياس عند إدخال المواد في المعجم العربي الحديث.

- وقرر أتباع اتجاه آخر أن اللغة كائن حي متطور، وأن المعجم وعاء لتلك اللغة يرتبها ويحفظها ويرصدها وعليه دعوا إلى أن ينبغي أن يكون المعجم متطورا يواكب تغيرات اللغة وحركتها فيرصد كل جديد في اللغة اشتقاقا أو قياسا أو تعريبا، فيضم المعجم كل مادة لغوية يستوثقون من وجودها مستعملة في اللغة³⁵.

- وهناك اقتراح تأثر أتباعه بالاتجاهات الاجتماعية حيث رأى أن المعجم يستمد كثيرا من مقوماته من مذهب صاحبه الفكري والاجتماعي، وأن الأسباب المذهبية واللغوية والاجتماعية كانت أساسا لأنواع مختلفة من المعاجم³⁶.

وأن المعجم عقيدة ومذهب من حيث محتواه بالخصوص لأنه يعتمد على اختيارات كثيرة منها اختيار ديني وسياسي وحضاري.

فالمعجم برأي أصحاب هذا الاتجاه -يقول بالثقافة السائدة والعقيدة القائمة³⁷ مستشهدين بذلك على المعاجم التي كان يصدرها اليسوعيون في لبنان التي استهدفت الطلبة المسيحيين خاصة كي تحاكي ثقافتهم وعقيدتهم وعليه دعوا إلى ضرورة أن يكون المعجم أداة تربوية موحدة في مادتها وموحدة للآراء³⁸.

- وردّ البعض الآخر تأخر الصناعة المعجمية العربية إلى عدم تلبيتها احتياجات المستهلكين³⁹، المتنوعة والمتفاوتة وعدم إيفاء المعجم المواصفات الضرورية لتلك الاحتياجات فعدوا ذلك من أسباب تخلف المعجم العربي وتجميده مقابل تقدم المعجم العالمي وتطوره⁴⁰.

واعتمادا على هذا المبدأ (احتياجات المستهلكين) ظهرت اقتراحات متعددة من أجل تحديث المعجم العربي، فمنهم من رأى أن أول شيء يجب عمله هو أن تقوم كل خطوة في المعجم على دراسة دقيقة كتجديد الهدف المرجو من المعجم، ثم تدرس الألفاظ التي يجب إدخالها على ضوء هذا الأمر⁴¹. وقد تأثر هذا الاقتراح بالنظرية الوظيفية التي ركزت على دور التواصل في الوظيفة اللغوية فقد أصبحت مربوطة بالمستعمل أو ما يعبر عنه بالمستهلك لأن المعجم أصبح أداة ضرورية فرضتها ديمقراطية التعليم، وتزايد المعارف وتشعبها وبذلك ضببطت محتويات المعجم وأهدافه مع حاجات المستهلكين المختلفة والمتنوعة⁴².

وانطلاقا من مبدأ وظيفة المعجم ومراعاة حاجات المستهلكين التي تختلف بحسب المستويات وتنوع بحسب الأغراض، يتبادر إلى أذهاننا عدة تساؤلات: هل وظيفة المعجم تسجيل المفردات التي وردت في المعاجم والمؤلفات تسجيلا كليا زمانيا ومكانيا وذكر المصادر والمراجع مع ترتيب سليم ودقيق؟ أي: هل وظيفة المعجم أن يكون موسوعيا تاريخيا؟ أو هو مجرد تسهيل المفردات التي وردت في المؤلفات وعلى ألسنة المتكلمين بالعربية تسجيلا وصفيا أنيا مكانيا بذكر المصادر والمراجع المكتوبة من كتب وصحف والمنطوقة من إذاعة وتلفزة وخطب؟ أي: هل وظيفة المعجم أن يكون وصفيا؟ أو أن وظيفته أن يكون انتقائيا معياريا حسب مستويات تعليمية مختلفة؟ أو وظيفته أن يكون مزيجا من كل هذه المشاغل حسب الطلب؟

كما شاعت الاقتراحات التي تأثرت بالدراسات الوصفية التي دعت إلى ضرورة وضع معجم حي معاصر ينوع في مصادره بحيث لا يكتفي بالمصادر الأدبية وحسب، بل يسمح بإدخال المصادر غير الأدبية وإدخال لغة الحياة وكذلك لغة الصحف والمجلات والروايات الشعبية وغيرها⁴³.

وأخيرا هناك اقتراح فيما يخص تحديث مواد المعجم العربي متأثر بالنظرية التوليدية، دعا أتباعها إلى أن موضوع البحث المعجمي العربي هو الملكة المعجمية لمتكلم اللغة العربية الفصيحة حيث دعت هذه النظرية إلى ضرورة تحديد ماهية المتكلم ومحددات ملكته، فقد لاحظ أتباع هذه النظرية أن المتأخرين من القدماء-وكذلك المحدثون- رفضوا أن يأخذوا اللغة من أفواه معاصريهم من المولّدين والمحدثين فأنكروا وجود متكلم لهذه اللغة وبأنهم بذلك قد خالفوا متقدميهم في تحديد المصدر الأول للغة، وبذلك حولوا المصدر من شيء حي وغني هو المتكلم إلى شيء سكوني ومحدود هو المتن، كما أنهم لم ينظروا في حال اللغة المستعملة عند معاصريهم بدعوى أنها لا يمكن أن تكون حجة⁴⁴.

وهكذا يلاحظ أن الحركة اللغوية والمعجمية قد تطورت في مصادر المواد التي اعتمدتها، فتنتقلت من المتكلم إلى المؤلف فاجتمع فالباحث فالمتلقي، فهل يمكن مراعاة هذه المصادر كافة عند وضع المعجم؟

6. خاتمة:

وأخيرا يمكن القول أنّ الدرس اللساني أسهم مساهمة فعالة وذلك لما قدّمه من تصورات وآليات ونظريات لفحص مختلف الجوانب المتعلقة بالمعجم في مادته ومصادر جمعه لمادته اللغوية، وآليات معالجته، وبناء مدونته، وعلاقته بالاجتماع، وتوظيف اللسانيات والنحو والصرف وعلم الأصوات والدلالة في خدمته، ومعالجة قضايا اللغة العربية معالجة علمية تستند إلى إنجازات اللسانيات الحديثة في مجال علم المعجم.

5. الهوامش:

- ¹ - محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1986، ص 169.
- ² - علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم الحديث، جامعة الرياض، 1975، ص 05.
- ³ - الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي، ص 169.
- ⁴ - المرجع نفسه، ص 40.
- ⁵ - علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص 05.
- ⁶ - محمد رشاد الحمزاوي، المعجم العربي في القرن العشرين، مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، العدد 53، ص 26.
- ⁷ - المرجع السابق، (علم اللغة وصناعة المعجم)، ص 05.
- ⁸ - ينظر: المرجع السابق، (المعجم العربي في القرن العشرين)، ص 262.
- ⁹ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1992، ص 82.
- ¹⁰ - ينظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص 06.
- ¹¹ - المرجع نفسه، ص 29.
- ¹² - ياقوت محمد سليمان، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1994، ص 332.
- ¹³ - ينظر: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص 154.
- ¹⁴ - صافية زفنيكي، التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2007، ص 37.
- ¹⁵ - الحمزاوي، من قضايا المعجم، ص 170.

- 16 - إبراهيم بن مراد، المعجم العربي العلمي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1993، ص05.
- 17 - ينظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص03.
- 18 - ينظر: الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي، ص05.
- 19 - حلمي خليل، المُولد في العربية، الهيئة المصرية العامة، الإسكندرية، 1978، ص477.
- 20 - عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، 1967، ص45، 46.
- 21 - شحادة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، طلاسدار، دمشق، 1989، ص174.
- 22 - أحمد قدور، المدخل إلى فقه اللغة، منشورات جامعة حلب، 1991، ص186.
- 23 - رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، مؤسسة نوفل، بيروت، 1982، ج/01، ص95.
- 24 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم العربي الحديث، عالم الكتب، مصر، 1998، ص28.
- 25 - عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها، طلاسدار، دمشق، 1986، ص27.
- 26 - حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956، ص752.
- 27 - أمجد الطرابلسي، حركة التأليف المعجمي عند العرب نظرة تاريخية في اللغة والأدب، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط06، 1986، ص49.
- 28 - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط03، 1972، ص144.
- 29 - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1970، ص26، 27.
- 30 - حسين نصار، المعجم العربي، ص715.
- 31 - ينظر: عبد القادر القاسي الفهري، المعجم العربي نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال، المغرب، 1985، ص17.
- 32 - المرجع السابق، (المعجم العربي نشأته وتطوره)، ص714.
- 33 - عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص71.
- 34 - المرجع نفسه، ص55.
- 35 - عبد الرحمان عفيف، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ندوة في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1987، ص392.
- 36 - المرجع نفسه، ص385.
- 37 - الحمزاوي، المعجم العربي في القرن العشرين، ج/53، ص264.
- 38 - الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي، ص152.
- 39 - الفهري، المعجم العربي، المعجم العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص13.
- 40 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم العربي الحديث، ص27.
- 41 - حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص743.
- 42 - الحمزاوي، المعجم العربي في القرن العشرين، ج/53، ص264.
- 43 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص58، 59.
- 44 - عبد القادر القاسي الفهري، المعجم العربي، ص20.

6. قائمة المراجع:

- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط03، 1972.
- إبراهيم بن مراد، المعجم العربي العلمي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1993.
- أحمد قدور، المدخل إلى فقه اللغة، منشورات جامعة حلب، 1991.
- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم العربي الحديث، عالم الكتب، مصر، 1998.

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1992.
- أبجد الطرابلسي، حركة التأليف المعجمي عند العرب نظرة تاريخية في اللغة والأدب، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط06، 1986.
- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1970.
- حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956.
- حلمي خليل، المؤلّد في العربية، الهيئة المصرية العامة، الإسكندرية، 1978.
- رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، مؤسسة نوفل، بيروت، 1982، ج/01.
- شحادة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، طلاسدار، دمشق، 1989.
- صافية زفندي، التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2007.
- عبد الرحمان عفيف، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ندوة في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1987.
- عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال، المغرب، 1985.
- عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها، طلاسدار، دمشق، 1986.
- عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، 1967.
- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم الحديث، جامعة الرياض، 1975.
- عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص13.
- محمد رشاد الحمزاوي، المعجم العربي في القرن العشرين، مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، العدد 53.
- محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1986.
- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.
- ياقوت محمد سليمان، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1994.